**الفكر الجزائري المعاصر ــ عبدالله شريط نموذجا ــ**

يعد عبد الله شريط واحداً من كبار المفكرين المعاصرين، ومن أبرز رواد التفكير الفلسفي في الجزائر والوطن العربي، فهو أحد أعمدة الثقافة العربية الجزائرية، ومن رواد الفكر النهضوي العربي، تميّز بفكره الشامل، ونضاله المستمر، نجد له حُضوراً بارزاً في عالم الفلسفة العربية المعاصرة، ففي أعمال الندوة التي عقدتها الجمعية الفلسفية قبل سنوات قليلة في القاهرة عن الفلسفة العربية في مائة عام ورد ذكر اسم المفكر عبد الله شريط 25 مرة إلى جانب المفكرين زكي نجيب محمود، وعبد الرحمن بدوي...

**أولا: من هو عبدالله شريط ؟**

ولد عبد الله شريط سنة1921م في بلدة مسكيانة التابعة إدارياً لولاية أم البواقي بشرق الجزائر، والتحق في صباه بكتاب القرية لحفظ القرآن الكريم كعادة أبناء الجزائر في ذلك الزمن، ثم تعلم في إحدى المدارس الابتدائية الفرنسية ببلدة مسكيانة، وانتقل سنة1932م إلى مدينة تبسة، حيث التحق هناك بإحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي كانت معروفة باسم مدرسة تهذيب البنين والبنات، وفي هذه المدرسة تتلمذ على يد العلاّمة الجزائري الكبير الشيخ العربي التبسي، رفيق درب العلاّمة عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، وفي سنة1938م ذهب إلى تونس للدراسة، وبعد فترة وجيزة توقف بسبب الحرب، وعاد إلى مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري ودرس بها، وفي سنة1945م عندما انتهت الحرب العالمية الثانية توجه إلى تونس مرة أخرى، وحصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة سنة1946م. انتقل عبد الله شريط إلى الشام، بعد المرور على فرنسا سنة1947م بجواز سفر مزور، وقد تمت هذه العملية بمساعدة مجموعة من النواب الجزائريين في باريس، من بينهم المناضل الكبير محمد خيضر الذي كان يشغل منصب ممثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية في المجلس الوطني الفرنسي، وبعد أن ذهب إلى لبنان التحق بالجامعة السورية، وسجل سنة أولى أدب عربي، وبعد فترة غيّر التخصص وانتقل إلى قسم الفلسفة بالجامعة نفسها، وحصل على شهادة ليسانس تخصص فلسفة سياسية سنة1951م، وفي السنة نفسها عاد إلى الجزائر، ونظراً لمحاربة الاستعمار الفرنسي للغة العربية وتجريمه لكل من يتعلمها، فقد ظل عبد الله شريط بدون عمل، مما اضطره إلى السفر إلى تونس سنة1952م، وهناك تولّى التدريس في جامع الزيتونة بالمعهد الجديد الذي استحدث لتدريس العلوم الحديثة، وفي الوقت نفسه كان يعمل بجريدة الصباح التونسية، وبعد اندلاع ثورة التحرير الجزائرية المظفرة، كثّف جهوده للتعريف بالقضية الجزائرية، وانضم

سنة1955م إلى أسرة تحرير جريدة المجاهد الجزائرية لسان حال حزب جبهة التحرير الجزائرية، وأضحى عضواً من أعضاء البعثة السياسية لجبهة التحرير الوطني، فقدم خدمات جليلة للثورة الجزائرية على الصعيد الإعلامي، حيث ترجم عشرات المقالات التي كانت تُكتب عن الثورة الجزائرية إلى اللغة العربية، وبعد إصدار جريدة المقاومة كُلّف بتحرير افتتاحياتها، وظل يُترجم المقالات المنشورة في الصحافة الدولية عن الثورة الجزائرية إلى اللغة العربية، وبعد استرجاع السيادة الوطنية، واستقلال الجزائر سنة 1962م، عمل أستاذاً بجامعة الجزائر، وواصل نضاله الفكري والسياسي، وحصل سنة1972م على شهادة الدكتوراه بأطروحة عن: «الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون»، كما ساهم في مرحلة بناء وتشييد الدولة الجزائرية بمجهود وافر في نشر الثقافة الفلسفية والتربوية في علم النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع التربوي، وذلك من خلال مداومته على تقديم حصة إذاعية وحصة تلفزيونية لقيت نجاحاً كبيراً، وأعجب بها المثقفون الجزائريون أيما إعجاب، إضافة إلى تمثيله الجزائر في عدد من الندوات والملتقيات الدولية، كما ناقش وأطر مئات الرسائل الجامعية، وتخرجت على يديه آلاف الكفاءات في مختلف المراتب، والمستويات. كُرِّم الدكتور عبد الله شريط العديد من المرات من قبل عدد من المؤسسات العلمية، كما كُرّم من قبل الرئيس الراحل هواري بومدين في أواخر السبعينيات، وحصل على جائزة الدولة التقديرية الأولى مناصفة مع الأديب الراحل الروائي الطاهر وطار، وكُرّم من قبل رئيس الحكومة الجزائرية الأسبق علي بن فليس، ووزير المجاهدين محمد الشريف عباس تقديراً على إنجازه لموسوعته الضخمة عن:« الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية». وقد نُظمت عدة ملتقيات وندوات علمية وطنية ودولية حول مشروعه الفكري المتميز، ومن بين هذه الندوات نذكر الندوة العلمية التي نظمها مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة منتوري بقسنطينة لدراسة آثاره الفلسفية والأدبية والتاريخية سنة 2004م، وقد حضرها عدد كبير من الباحثين والمفكرين، وصدرت أعمالها في مجلد كبير.

في سنة 2007م وبمناسبة احتفالية الجزائر عاصمة للثقافة العربية، صدرت أعماله الكاملة في طبعة فاخرة في سبعة مجلدات ضخمة عن وزارة الثقافة الجزائرية، احتوت جميع أعماله الفكرية وكتاباته الفلسفية التي ناقش فيها أهم قضايا الجزائر، والأمة العربية. توفي عبد الله شريط يوم10 جويلية 2010م.

**ثانيا: مؤلفات عبدالله شريط**

من أبرز ما ألفه نذكر: شخصيات أدبية، الجزائر في مرآة التاريخ، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، حوار إيديولوجي حول المسألة الصحراوية والقضية الفلسطينية، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المشكلة الإيديولوجية في الجزائر وقضايا التنمية، تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب، معركة المفاهيم، المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، من واقع الثقافة الجزائرية، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، حوار إيديولوجي مع عبدالله العروي، أخلاقيات غربية في الجزائر، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، من أجل سعادة الإنسان، مجموعته الشعرية (الرماد)

**ثالثا: فكر عبدالله شريط**

يرى عبد الله شريط من خلال كتابه:" معركة المفاهيم" وهو مجموعة من الحوارات والمناقشات التي تركز على قضية إدراك المفاهيم بدقة، حيث يعتبر أن ضبط المفاهيم مسألة تعد غاية في الأهمية، ويؤكد بأنها المعركة الأهم، والتي لابد أن يُقدم المرء من أجلها رؤى معمقة، لأن الكثير من المفاهيم قد اختلطت وضاعت وسط الزحام، ولابد من تصويبها وفرزها وتمحيصها بدقة، وقد ألف هذا الكتاب بغرض إيضاح مجموعة من التصورات، إذ يرى أن ما تتميز به المجتمعات العربية عموماً هو الاتجاه إلى العمل مباشرة، دون وضع تصورات مُسبقة، وأفكار مُوجهة، وخطط مرسومة، لأننا لا نستطيع أن نبني بيتاً من الحجر، ونحن لا نحمل رؤية مُسبقة عنه في تصوراتنا الذهنية، إلا إذا سبقه بيت من الأفكار، ويشير المفكر المصري الدكتور محمود قاسم في تقديمه لهذا الكتاب أن المفكر عبد الله شريط قد اهتم بهذه المسألة تأقلماً مع المجتمع الجزائري، وأوضاعه السياسية، فمعركة المفاهيم بالجزائر قد بلغت الذروة في حدتها، ولن تجد جزائريا يحدثك قليلا من الوقت حتى ينقلك إلى صميم المعركة، ولهذا السبب فقد حرص المفكر عبد الله شريط على بذل جهد خاص يلح فيه كما يقول: على قيمة المفاهيم في حياتنا العلمية والثقافية والسياسية عموما، والمفاهيم في المجتمعات الناشئة كثيرا ما تأخذ طابع المعركة.

**1. مسألة الأخلاق:**

لقد عالج عبدالله شريط في كتابه:" من واقع الثقافة الجزائرية" الكثير من القضايا والمشكلات التي تتصل بواقع الثقافة الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال، وقد ركز من خلاله على الجوانب النفسية والخلقية والاجتماعية من واقع هذه الثقافة، وتميز بالشفافية والصراحة، والنقد الذاتي في طرحه للمشكلات، وكعادته فإنه لا يكتفي بطرح المشكلات وحسب، بل إنه يسعى إلى تقديم حلول ناجعة وعملية بهدف النهوض بالثقافة الجزائرية والعربية، ويتحدث عبدالله شريط عن هذا الكتاب ودوافع تأليفه فيقول:« دافعنا الحقيقي لذلك هو حرصنا على كسب معركة الوقت الذي يلعب دوراً كبيراً، إن سلباً أو إيجاباً، في حياة المجتمعات المعاصرة، بما فيها مشكلات الثقافة في العالم المتخلف. أما حكم القيمة فأمر أتركه للنقاد، وللأجيال الصاعدة التي لا نفكر فيها، ونحن نطرح المشكلة، ونبحث لها عن حل. ومن أهم القضايا التي عالجها عبدالله شريط في هذا الكتاب: المعركة بين الأعراب والتعريب، والإصلاح الجامعي، وإشكالية المعرفة والشعب، والثقافة وطريقها إلى الشعب، ومشكلة اللغة والمجتمع.

 ولعل من أبرز القضايا التي تطرق إليها هي مسألة الأخلاق، وذلك في كتابه الموسوم بــ: " الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون" وهو من الكتب الهامة التي قام بتأليفها، وهو في الأصل أطروحته التي قدمها لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الفلسفة السياسية والأخلاقية، وعن سبب تأليفه لهذا الكتاب يقول الدكتور عبد الله شريط :« بعد الاستقلال دخلنا في مرحلة أخرى في المستوى الثقافي وفي المستوى الأخلاقي، وبصفة عامة علماء الاجتماع يقولون إن كل المجتمعات التي تدخل الحرب تخلف هوة أخلاقية، بحيث يجد المجتمع نفسه غريباً عن نفسه، فهو غريب الأخلاق، وغريب الأطوار، وهذا ما دفعني في يوم من الأيام منذ السنوات الأولى للاستقلال أن أبحث في هذا الموضوع عند ابن خلدون، ووضعت فيه رسالة الدكتوراه، فالناس كانوا مهتمين بالسياسة عند ابن خلدون، والاجتماع عند ابن خلدون، والاقتصاد عند ابن خلدون، ولكن على ضوء ما لاحظته من انقلابنا الأخلاقي، رحت أبحث عند ابن خلدون عن هذه الهوة الأخلاقية التي وقعنا فيها».

كما تكلم عن مسألة الأخلاق في كتابه:" أخلاقيات غربية في الجزائر" وهو ترجمة لكتاب:« مذكرات الماجور طومسون» لمؤلفه الفرنسي بيار دانينو، وقد اختار ترجمة هذا الكتاب لما فيه من الطرافة،

والمتعة، والفن الرفيع ولعلاقته الوثيقة بالمجتمع الجزائري، فقد أُلف الكتاب على لسان مُلاحظ انكليزي يُحلل الأمراض الأخلاقية في المجتمع الفرنسي، ويتحدث عبدالله شريط عن الأسباب التي دفعته لاقتباس هذا الكتاب، فيقول: «الغريب في هذا الكتاب هو أنك تقرؤه فتشعر بأنه في كثير من الحالات يُحلل لك المجتمع الجزائري، وليس معنى هذا أن المجتمع الجزائري هو وحده الذي يشبه المجتمع الفرنسي، بل أعتقد أن الكثير من هذه العيوب توجد بكثرة أو بقلة في كل المجتمعات البشرية، هذا من ناحية، ثم من ناحية أخرى لأن طول معاشرتنا للمجتمع الفرنسي الذي عاش معنا أكثر من قرن قد ترك فينا عادات لا نشعر بها إلا عندما نقرؤها في مثل هذا الكتاب. ومما يزيد هذه النقائص بروزاً، مقارنة الكاتب لها بمثيلاتها عند الانكليز، بحيث إن القارئ الجزائري مثلاً يخرج من قراءته بتحليل دقيق لما تركه فينا الفرنسيون من أخلاق وعادات، وفي نفس الوقت يُكوّن فكرة عن أخلاق الانكليز بنوع من المقارنة الطريفة، والدعابة الذكية، والنوادر والملح، حتى أن قراءته لا تعد تعباً بل راحة من التعب. إن المؤلف سيحدثك عن المجتمعات التي تفضل حياة التعقيد على حياة البساطة، وتضيع وقتها في الجزئيات، وتهمل المبادئ والأمهات، ويحدثك عن الأنانية التي تأخذ شكل فلسفة «عميقة»، وعن نماذج من الأشخاص أو المجتمعات تعيش في مخاوف وهمية، أو مجازفات لا مبرر لها ولا عقل يُقرها، ويحلل بالخصوص-وبدقة تثير الدهشة- ما في حياة الناس من تناقضات عجيبة لا يتفطن الإنسان لسخفها، إلا عندما يُقدمها له مصور دقيق الملاحظة عميق الإدراك. والفن الرفيع في الكتابة هو من ينقل لك الواقع الذي تعيشه بظلاله وأضوائه الدقيقة إلى صورة تلمسها أمامك، وتضع إصبعك على جزئياتها. ويحدثك عن عيوب شخص آخر فتشعر أنه يشرح لك أعماق ما في نفسك أنت من عيوب، وقد فضل أن يتحدث فيه على لسان ملاحظ إنكليزي يرقب حياة الفرنسيين ويسجلها ويحللها، ونجح فعلاً في تبني ما في الطبيعة الانكليزية من تهكم وسخرية وبرودة كبرياء، حتى أن القارئ لا يتوهم أبداً أن كاتبه فرنسي، ثم إن الأسلوب الذي اتبعه يعتبر بحق مدرسة جديدة جديرة بأن تُحتذى».

**2. مسألة التعريب:** تطرق إلى هذه المسألة في كتابه:" نظرية حول سياسة التعليم والتعريب" وهو مجموعة من المقالات كان قد كتبها على صفحات جريدة «الشعب» الجزائرية رداً على المفكر مصطفى الأشرف بخصوص سياسة التعريب والتعليم، والتي أحدثت ضجة كبيرة في أوساط المثقفين الجزائريين، وعمقت الشرخ بين أنصار اللغة العربية، ودعاة الفرنكفونية. وقد قدّم في هذه المقالات رؤى معمقة عن

قضية التعريب، والصراع الفكري المعهود في الجزائر بين أنصار اللغة العربية، وأنصار الفرنسة والتغريب، وبسبب هذه المعركة تعرض لحملات شعواء من قبل الفرنكفونيين، فقد اتهموه بالتعصب، وبأنه رجعي ضد العصرنة والتطور، ويشير عبدالله شريط إلى أن صراعه مع الفرنكفونيين بدأ منذ صباه، حيث يقول في هذا الشأن: «يظهر أن المفرنسين يحملون ضدي حقداً تاريخياً منذ أن كنت بتبسة لموقف عائلتنا الوطني من فرنسا الاستعمارية». ويعبر عبدالله شريط عن رؤيته للصراع اللغوي في الجزائر، من خلال مقدمة هذا الكتاب بقوله: «إن التعريب في بلادنا ظل سنوات طويلة موضوع نقاش بين طرفين لا يفهم أحدهما الآخر، فكان شبيهاً-كما يقولون- بنقاش الصم الذين لا يسمع بعضهم بعضاً، ولكن كل واحد يرد على الآخر بما يتوهم من أفكاره، أو ما يظن أنه قاله، ولكن المؤكد أنه لم يحصل لحد الآن نقاش هادئ بين معربين ومفرنسين في قضية التعريب بالخصوص، وما يكتنفها من جوانب، وما تمتد إليه من أبعاد حضارية وسياسية وفكرية. فبقيت قضية يقنع فيها المعرّبون معرّبين أمثالهم، والمفرنسون مفرنسين مثلهم بحجج عاطفية في الغالب لدى الطرفين، ومدفوع فيها الجميع عن وعي وعن غير وعي بما يتوهمه مصلحة عامة، غير مبالٍ بما قد تكون عليه مصلحة الطرف الآخر الذي لا يضع منها شيئاً في الحساب. ونقاش الصم هذا أخطر من عدم النقاش على الإطلاق، وكنت أفضل أن لو لم يحدث هذا النقاش إطلاقاً على أن يحدث بهذا الشكل الذي يُكلم فيه كل واحد نفسه فلا يعرف شيئاً عن أفكار صاحبه. وكان الذي حدث هو أن منع النقاش بين الطرفين، أو عدم وقوعه بصورة طبيعية، كون فجوة بينهما استغلتها أطراف أجنبية عن الطرفين، وعن القضية نفسها، وحولت النقاش المبهم بينهما إلى تبادل في سوء النية، ثم إلى تعصب على فراغ. وفي هذا الجو المفعم بسوء النية، والتعصب ضاعت النظرة إلى المصلحة الوطنية، وأصبح المُتكلم أو الكاتب يتخذ من موضوع التعريب سلاحاً يقاوم به عدوه الجديد. ولم يعد التعريب أو عدمه منظوراً إليه كوسيلة لنهوضنا، بل أصبح غايةً في ذاته حلّت محل الغايات الأخرى الوطنية والسياسية في القضية ».

ولقد دافع عبد الله شريط من خلال مقالاته التي جمعها في هذا الكتاب دفاعاً مُستميتاً مُزدوجاً عن اللغة العربية، فقد وجد نفسه مُحاصراً من تيارين قريبين في توجهاتهما التيار الفرنكفوني الذي يدعو إلى ضرورة فرنسة الإدارة والتعليم في الجزائر، والتيار الذي يدعو إلى إشاعة العامية وترسيخ اللهجات المحلية، وقد ظل طوال مسيرته صامداً يؤكد على أن نهضة الدولة الجزائرية، لا يمكن أن تتحقق إلا بتعميم التعريب،

فيشير إلى أن:« الثقافة الشعبية لا يُمكن أن تتحقق بواسطة اللغة الأجنبية، بل بواسطة لغة الشعب نفسه التي هي اللغة العربية، ومقاومة الأمية في هذا الشعب، التي هي الخطوة الأولى للثقافة الشعبية لا تتم بواسطة لغة أجنبية، بل بواسطة اللغة العربية التي هي لغة الثقافة، أو يجب أن تكون هي لغة الثقافة. أما ما يُسمى اليوم بالثقافة الشعبية، والتي هي تعبير في الحقيقة عن اللهجات المحلية، فهي ليست بلغة ثقافة في مستواها، وليست لغة وطنية من حيث امتدادها الجغرافي. إن لغة الثقافة من حيث المستوى الثقافي واللغة الوطنية من حيث الشمول الجغرافي هي اللغة العربية. وإذا وقع انفصال في هذه الحقيقة في ظروف تاريخية عابرة قطعت التواصل الثقافي والوطني قرناً من الزمن، فليس ذلك حجة يصبح بها الاستثناء قاعدة، وتتحول به القاعدة إلى استثناء. ولا يُمكن أن نُغفل الارتباط بين ظهور ما سُمي بالثقافة الشعبية عندنا، وبين تمكن اللغة الفرنسية في قطاع هام من الرأي العام، وحرمانه من اللغة الوطنية طيلة قرن».

**3. قضية الثورة الجزائرية:** تكلمعبد الله شريط عن الثورة الجزائرية من خلال موسوعته الشاملة الموسومة بــــ: «الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية»، فقد غطى من خلالها ما كُتب عن الثورة الجزائرية ما بين سنوات:1955-1962م في الصحافة العالمية، وقد صدرت في ثمانية عشر جزءاً عن منشورات وزارة المجاهدين بالجزائر. وعن منهجه في جمع وترتيب وترجمة المقالات التي حوتها الموسوعة، يشير عبد الله شريط إلى أن جميع المقالات التي ضمها في الموسوعة قام بنقلها عمّا كان يُكتب في الصحف الأجنبية، وبعض المجلات السياسية المتخصصة عن حرب التحرير الجزائرية، وقد تابعها بحرص وانضباط، عندما كان يعمل صُحفياً في جريدة الصباح التونسية، وقام بنشر عدد كبير منها في الصحافة التونسية، وجريدة المجاهد الجزائرية، و قد عرض المفكر عبدالله شريط في مقدمته لهذه الموسوعة لمختلف الأحداث السياسية، وسلّط الأضواء على التحولات التي عرفتها الدولة الفرنسية في تلك المرحلة وسياستها في الشمال الإفريقي إثر الرؤية القوية التي بدأت تؤكد أن دخاناً ما قد يظهر في المنطقة. لأن رائحة الحريق بدأت تتسلل وبقوة لأنوف السياسيين والعسكريين، وهذا ما يُبرزه المؤلف تحت عنوان: «عام1955م الجو العام إثر استقلال ليبيا-مركز فرنسا في شمال إفريقيا-ومفاوضات ليبية وفرنسية تونسية ومغربية-بدأ التحذير من أن تتحول الجزائر إلى هند صينية جديدة بالنسبة لفرنسا، وقد عمل عبدالله شريط على اختزال الثورة الجزائرية في صفحات، إذ تتميز مقالات الموسوعة بتسلسلها الدقيق الذي يعرض الأجواء السياسية، وردود الفعل، فأول عنوان ينقله لنا الكاتب في الجزء الأول من الموسوعة هو: «فرنسا وليبيا وشمال

إفريقيا(04/01/1955م)» وهو تعليق على ما نشره الصحفي م.إيدوار في صحيفة لوموند، سلسلة من البحوث الطويلة عن الحالة في ليبيا، والتطورات التي جدت عليها منذ استقلالها، وهكذا تأتي المقالات متسلسلة حسب الأحداث البارزة التي عرفتها سنة1955م، ليختتم هذه المقالات المنتخبة لهذه السنة بمقال تحت عنوان: «جمال عبد الناصر» بتاريخ:11/08/1955م، وما يمكن قوله إن الموسوعة التي أعدها عبدالله شريط موسوعة شاملة، وقد قدم من خلالها خدمة جليلة للتاريخ الجزائري والعربي حيث إنها تختزل الوقت بالنسبة للباحثين والدارسين، بدل الاستغراق في البحث عن الصحف والأرشيفات، يجد الباحث والدارس أن عبدالله شريط تكفل بهذه المهمة، وتحمل مشقة البحث والجمع والترتيب والترجمة والتعليق عليها، وهذا ما يسهل لغيره العمل باعتبار سلسلته هذه مصدراً يرجع إليها وقت الحاجة، لأنها شهادة حية ووثيقة مسجلة».